

رانيا الطنوبي

مجموعة قصصية

ثم أتابع

ثم أماً بعد

"ثم أماً بعد"

بقلمي

رانيا الطنوبي

رانيا الطنوبي

المقدمة

صعد على المنبر وكما العادة بدأ بحمد الله والثناء على

رسوله ثم صمت ولم يتكلم

احتار الناس في أمره وبعد وقت ليس بالقليل سألوا

"ألن تعظنا"

قال بلى، ولم يتحدث

يا شيخ ما الذي دهاك؟! وما الذي أصابك؟!

زفر ثم صاح فيهم بل ما الذي دهاكم؛ أحقا تريدون

سماعي

وعندها لم يجيبوا

كان السؤال الأصعب لمن اعتادوا أن الخطب صارت

عادة واعتراف ضمني بأن الغشاوة قد طالت بدورها

آذانهم

ساد صمت طويل فقطعه الإمام هاتفا

ثم أما بعد

"ثم أما بعد"

هلا توقفتن عن الركن واستبصرتم ما ينبغي عليكم

استبصاره

"لا"

"إذا لا فائدة.....أقم الصلاة"

وكانت الخطبة الأكثر وقتاً رغم قلة كلماتها

رانيا الطنوبي

رانيا الطنوبي

نعم أما بعد

البداية

هل ستأتي ابتسام اليوم؟

سؤال طرحه الأربعة الجالسون على مكاتبهم بإحدى
الغرف داخل واحدة من المصالح الحكومية وقد شعروا
بالقلق حيال تأخرها كونها نادرا ما تتغيب دون أن
تبلغهم باعتذارها

لكن بالتأكيد سبب سؤال الأستاذ أكمل عنها في نفسه
اختلف تماما عن سبب سؤال رنيم بينما الأستاذة
مايسة لم يشغلها غيابها بنفس القدر
وللدقة يبدو أيضا أن الأستاذ شكري لم يكن مهتما.
مرت ساعة ومن بعدها دخلت الأستاذة عنايات وقد
ظهر الأسى على ملامحها وبدأ أنها تملك خيرا عليها أن
تبلغهم به هذا إن كان يعنهم

رنيا الطنوبي

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

وهيئتها استوقفت مايسة فسألتها: هل حدث شيء؟

وبنظرة زائغة قالت: البقاء لله

والجملة استوقفت الأربعة فرفعوا رؤوسهم ونظروا لها

وعلا هتافهم معا وهم يسألوها: من؟

ترقرقت عيناها بالدموع ثم قالت: الأستاذة ابتسام

توفيت صباح اليوم

وبين ذهول وحزن وصدمة وخزي كان هتاف الأربعة:

ابتسام!!!!

رنيم

لا شيء يصف سعادتني اليوم، فبعد طول انتظار
سيتحقق مرادي وستتم خطبتي على حبيب عمري
"أسر"

ذلك الذي لم يأسر قلبي وحسب بل أسر حياتي كلها،
كانت هذه حالتي قبل عام من اليوم كنت بالفعل أسيرة
ذلك القيد المسمى "حب"، كنت أوافق على كل ما يريد
وأرضى بأي شيء منه وشيئا فشيئا كان يشعرني بأن
حبي يمثل له أكبر عبء وكنت لحماقتي أغض الطرف
وأقول لِنفسي هو يحبني وهذا يكفي حتى بات الوضع
"أنا أحبه وهذا يكفي"

إلى أن جاء اليوم الذي احتد فيه على والدتي وطريقته
فرضت عليها الزعيق فيه وللعجب لقد كان الخلاف
على حجم طاولة السفرة ولم يكمل حوارهُ معها وتركها

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

ورحل وأغلق هاتفه عن عمد، وفعلت كل ما بوسعي
لأصلح الأمر لكن لا جدوى وبعد عدة أيام كانت والدته
بمنزلنا تطلب "الشبكة"!

يومها أدركت معنى أن يكسرك من كنت تظنه نفسك
وما كنت لأصدق ما فعله، يوما بعد يوم كنت أقنع
عقلي أنه سيعود نادما وسيعتذرو ويقسم أن الحياة من
دونى ليس لها معنى ولكن كانت الأيام تمر ولا يأتي حتى
علمت من إحدى صديقاتي أنه أتم خطبته بأخرى
"فكانت تمام الحسرة!"

لن يعود ولا يريد ولن أنسى ما قالت لي أمي، استفيقي يا
ابنتي وابحثي عن نفسك
وكان قرار بداخلي وقسم أن أجعله يندم أشد الندم على
ما فعله

وتمحورت كل أفكارى حول

رهنيا ههطنوبي

"كيف أجعله يعرض أصابع الندم ويدرك قيمتي"
في البداية ناوشتني فكرة الاهتمام بنفسي وشيئا فشيئا
استحوذ الأمر على وقتي
كنت أستيقظ من السادسة وأقف أمام المرآة قرابة
نصف ساعة من أجل إتمام زيني وما إن أنتهي حتى
أُمنِّي نفسي أن أقابل أسر صدفة ويراني ويدرك كم
خسر.

تبدل حالي مائة وثمانين درجة أصبحت غير مبالية
وكثيرا ما كنت أتعمد تأخير صلاتي، ثم خروجي المستمر
والبحث عن جديد يملأ نفسي، شغف يكسر رتابة ملل
يطوقني باستمرار ولا أعرف له سببا
- أنا بحاجة لمال فقد أنهيت راتبي
وتلك الجملة كنت أزعم بها في وجه والدتي باستمرار
ولتتفادى غضبي كانت تعطيني ما أريد

وبدأت حملة تغيير أوسع حيث قرار بجلب ملابس أضيّق
لتبرز أنوثتي وإن قابلني أسرف بالتأكيد ستزداد حسرته
لأنه أضاع من بين يديه فتاة بجمالي
"هاي ممكن نتعرف"

رسالة أنا من بدأ يرسلها إلى شباب وددت التعرف
عليهم، ربما لأثبت لنفسي أنني مرغوبة وجميلة ولكم
كان يسعدني إطراء كُثر على صوري التي كنت أتعمد
نشرها باستمرار ووظني أن أسر يراقب حسابي ليعرف
أخباري لأنه اشتاق إليّ ولكنه بالتأكيد يعاند نفسه
وبنهاية اليوم أضع رأسي على الوسادة وأحاول أن أسعد
نفسي بكل ما أفعله لكن شعورا قاتلا بالخواء يداهمني،
فأقرر في اليوم التالي الخروج بعد عملي وشراء ملابس
جديدة وحلوى لم أجربها وشوكولاتة وأنا أردد

نعم أنا بعد

"لن أنتظر من أحد أن يسعدني، لن أنتظر من أحد أن

يعوضني أو كما يقال بطريقة شائعة

(سأمعش نفسي بنفسي ولن أنتظر كلمة معش من

أحد)

وبعد مرور اليوم أضع رأسي على وسادتي لأجد الخواء

يتفاقم وكأنه يملأ روحه عن آخرها، ذابت الشوكولاتة

بفمي ولم تجلب معها السعادة، وتكدست خزانتي

بالملابس وأدراجي بعلب المكياج ولا شيء يجلب الفرح،

ولم يعد أسرو لن يعود

وانهت أبكي بجزع، أتلك هي القوة التي تتظاهرين بها يا

رنيم، واتضح لي كم أنا متخبطة وكل شيء أفعله

ليسعدني يستمر مفعوله لدقائق أو ساعات ثم ينقضي

ويعود الخواء والأسى

إلى متى سيظل حالك هكذا يا رنيم؟؟

رنيميا هالطنوبي

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

تسأل أُمِّي وأرى الحزن بعينها ولا أملك إجابة فأزفر
وأتركها وتظهر عصبيتي على أتفه الأسباب أو حتى دون
سبب

.قلت لك أحضر لي كوب الشاي بدون سكر أيها الغبي
وكان زعيقني بالساعي, فالتفتت ابتسام وردت: المعذرة يا
رنيم فقد أخذت كوبك بالخطأ

ومع ابتسامة رقيقة وضعت الكوب فوق مكثبي وأخذت
الأخروعات لمكثبها وكالعادة عند أذان الظهر اتجهت
لتصلي وفي نفسي تساءلت ألا يستوقفها كم السخرية
منها هنا، بداية من أستاذة مایسة التي تنعتها بالشيخة
ابتسام مروراً بالأستاذة عنايات التي تقول مازحة: اللهم
قوي إيمانك

ورغم ذلك يكون ردها بهدوء: آمين وإياك.

ثم ترحل وتعود لتجتهد بعملها غير عابئة بنظرات أستاذ
أكمل "البصباح" ولا الأستاذ شكري الذي لطالما
تشاجر معها لأنها تنهي عملها دون "فتح درجها" من
أجل إكرامية أوشاي أو بالأحرى رشوة
وفي ذلك اليوم تحديدا بدأ بيننا الكلام فعند موعد
الخروج كنت قد تأخرت قليلا لسبب ما فلم يبقَ
بالغرفة إلا أنا وأكمل الذي قام من مكانه واتجه ليجلس
بالمقعد المقابل لمكتبي وقد أمسك بيدي في جراحة وسأل:
ما رأيك لو خرجنا بال مساء معا؟
وهالني ما فعل فسحبت يدي وأنا أنظر له بحدة وقد
كدت أصفعه لكنه أمسك بيدي وابتسم بسماجة وقد
قام من مقعده متجها لمقعدي وتجمدت من وقاحته إلا
أن صوت ابتسام قد استوقفه حين هتفت: رنيم أنا
أنتظرك لا تتأخري

وجملتها كانت كطوق نجاة قررت التعلق به وأنا أرد: أنا

قادمة

وجمعت أشياء ورحلت مضطربة وظننت أنها
ستتحدث إليّ لكنها لم تفعل فقط سألتني عن وسيلة
المواصلات التي سأركبها وأجبتها: المترو
ومن بعد ذلك اليوم أصبحت أغادر قبل الجميع
وأتفادي الحديث مع أكمل بل الكل وقد زادت حدتي
واختلفت نظرتي لكل شيء من حولي وخاصة الرجال
كونهم يمتازون بالحقارة
زادت لامبالاتي حتى شملت ترك بعض الصلوات
وأحيانا جميعها وصورا أكثر تحررا ومزاحا أكثر جرأة
بيني وبين أصدقائي على حسابي بـ"الفيس بوك"
ليستوقفني عندها طلب صداقة مرسل لي من زميلي
الأستاذ أكمل وعندها أصابتني الصدمة

نعم أنا بعد

هل يطلع على صوري؟

عندها خيل لي وهو يطالعها باشتهاء، فأصابني بالغ

التقزز وأنا أتمتم: نفوس مريضة

ثم قمت بحظره، وكتبت بعدها منشوراً عن حرיתי التي

لن أتخلى عنها مهما قابلتني نفوس مريضة أو عقول

عفنة!

منشور راق لصديقتي هدير قامت بنشره وهي تعلن أنها

قد خلعت حجابها وهي سعيدة بما فعلت ولن يشغلها

كلام الناس عنها ما دامت فعلت هذا بملء إرادتها الحرة

ولن أنكر تأثري بكلماتها أو بالأحرى شجاعتها، لقد فعلت

ما أتمنى أنا فعله لكنني أخشى رد فعل من هم حولي

وأولهم والدتي،

ولكن الأمر قد بدأ يسيطر على عقلي، وكأنه يُزين

"الجوحار"

رانيا الطنوبي

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

"أنا بالأساس حجابي ناقص"

"أنا لازلت صغيرة"

"ربما هو السبب في أن يتركني أسر"

"لم يتقدم إليّ أحد"

وظللت على تردددي حتى مر أسبوع وبعدها حسمت
أمرني ودون تردد خلعتة وتنفست الصعداء وأنا أهتف
في نفسي

"الآن تحررت من قيده"

أشعرني الأمر بشيء من التحدي، وما تمنيته أن أجد
نفسي ويتلاشى ذلك الخواء الذي يلاحقني
لكن للحقيقة زاد الخواء ولكني قررت التغافل عنه
صُدِمَت والدتي وكنت أسمعها تدعو الله لي أن يهديني
إليه وهي تبكي ولكني لم أبال

عُمرُ أُمِّ بَعْدَ

وأما عن زملاء العمل فحدث ولا حرج، فجأة أصبحت

أنا الشيطان وهم الملائكة

فالأستاذ شكري عندما يراني يستغفر الله بصوت مرتفع

وأستاذة مایسة تجنببت أي كلام بيننا بشكل نهائي بينما

الأستاذة عنايات كانت تحذر الجميع مني

"لعوب تبحث عن عريس، خطافة رجالة"

حتى أنها حذرت أكمل من التعامل معي وكأنها لا ترى أنه

قد زاد من وقاحته وأصبحت نظراته أكثر جرأة بل

وتصرفاته وكأنه بات يعرف أنه مهما فعل فلن يصدقني

أحد إن اتهمته لأنه البريء وأنا دوما المذنبة

وكل ذلك العبث كان كفيلا بجعلي أكثر عصبية حد

احتدام النقاش بيني وبين عنايات ذات يوم حين قررت

نصحي بأسلوب استفزني فهتفت فيها: أنا حرة ولا يعنيني

رأي أحد

رانيا الطنوبي

عُمُّ أُمِّ بَعْدَ

واتجهتُ بعدها للحمام لغسل وجهي وأنا أحاول أن
أهدأ وقد عقدت العزم على تقديم استقالتي
وفي خضم تلك الفوضى التي تنشب بداخلي دخلت
ابتسام لتتوضأ وقبل خروجها سألتني
-رنيم لم لا تأتين لصلاة الظهر معي
والتفت لها وقد استغربت، هل حقا تظن أنني أصلي بل
هل هي لازالت ترى بي ذلك الشخص الذي من الممكن
أن يذهب إلى المسجد ويصلي معها؟
قطعت شرودي وقالت: يوجد بالمسجد إسدال إذا
أردتي يا رنيم، تعالي
وتركتني وخرجت ورغما عني فكرت بما فعلته معي ولم
يكن مقصدي كونها عرضت عليّ أن أصلي معها بل
كونها لم تعاملني بنفس الطريقة التي عاملني بها البقية،

عُمُّ أُمِّ بَعْدَ

لم تنظر لي شزرا أو باحتقار أو تشعرني أنها أفضل رغم

شعوري أنها بأنها بالفعل كذلك

وترددت هل أذهب خلفها أم أعود لمكتبي والحسم هذه

المرّة كان من نصيب المسجد

كنت أريد أن أثبت لنفسي أولببقية أنني أصلي وليس

معنى خلعي للحجاب أنني قد كفرت بربي

دخلت فوجدتها تصلي بزاوية، وظللت أتطلع إليها حتى

أنهت صلاتها والتفتت إليّ ولم تعقب بأي كلمة فقط

مدت يدها بالإسدال ثم قالت: صلي يا رنيم، تقبل الله

منا ومنك

وتركتني وخرجت، وأنا صليت وعدت لعملي وقد فرضت

عليّ مراقبتها، بدت لي مختلفة عنهم، على الأقل هي

الوحيدة التي شعرت بالراحة وأنا قريبة منها

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

ومرت عدة أيام منذ ذلك اليوم تجمعا صلاة الظهر

دون كلام

لكني لن أنكر أن شيئا ما في نفسي كان ينتظر منها

خطبة عصماء عن كوني مقصرة أو وضيعة أو إنسانة

عليها انتظار مقعدها في النار لكنها لم تفعل

حتى جاء ذلك اليوم الذي نصحتها فيه الأستاذة عنايات

بالابتعاد عني لأنني شُبِّهة، واستوقفني ردها عني حين

قالت: لا أحد كبير على الفتنة يا أستاذة عنايات،

والدعاء لها بالهداية أفضل

ولم تكن تعلم أنني أسمعها وعندما جمعتنا صلاة الظهر

يومها سألتها بريبة: أحقا أنتِ تصدقين ما تقولين يا

ابتسام؟

علا الاستغراب وجهها وردت: ما الذي تقصدينه يا

رنيم؟

رنيم هـ الطنوبي

نعم أم بعد

- أقصد كلامك لأستاذة عنايات عني، هل حقاً تظنين

أنه لا أحد كبير على الفتنة وأن الدعاء لي أفضل.

صمتت ولم ترد، وظلت تطالعني ثم قالت: أتعرفين يا

رنيم أين المشكلة؟

لم أرد فتابعت: أنتِ تبحثين عن نفسك يا رنيم، ومن منا

لم يجرب التيه، ومن منا لم يذنب، ومن منا لم يسقط،

لكننا بحاجة لفهم حياتنا بوعي أكبر، إننا نحيا لنصلح

أخطاءنا لا أن نتفادها يا رنيم.

ولم تزد على ما قالت كلمة.

وفي ذلك اليوم عدت لمنزلي وكلمات ابتسام تتردد في

نفسي

هل أنتِ سعيدة الآن يا رنيم؟

وكانت الإجابة: لا

رنيميا هـ الطنوبي

نعم أم بعد

هل زال الخواء يا رنيم؟

لا.

هل شعر أسر بالندم يا رنيم؟

وانهمرت دموعي وزاد التخبط وبكيت كثيرا وأنا أصلي
العشاء وعند صلاة الظهر في اليوم التالي سألت ابتسام
دون تردد: ابتسام بداخلي سؤال يئن برأسي وأريد
وبشدة أن أجد إجابته

- تفضلي

- هل كان يعجز الله أن يمنحني الراحة والسعادة، وأن
يجمعني بمن أحب، لماذا فعل الله بي هذا، لماذا حرمني
من حبيبي رغم أنني ألححت بالدعاء عليه أن يجمعني
به؟

وبكيت كثيرا ثم قلت: أشعر أن الله يكرهني، بل هو

يكرهني، أليس كذلك؟

رنيم هـ الطنوبي

مسحت دموعي بيديها ثم قالت: رفقا بنفسك يا رنيم،
حشاه -الله- أن يعاند عباده أو يحرمهم من السعادة
والراحة وهو الرحمن الرحيم، لكن إننا -البشر- دوما ما
ندور في ضيق الأفق، نظن أن الراحة فيما نقص أو
ابتعد لا فيما نملك ولا من هم إلى جوارنا، من قال لك
أن السعادة كانت إلى جواره، أو أنك كنت ستعيشين في
سعادة معه، من أخبرك بالغد يا رنيم ومجرياتة أو ما
سيحدث فيه حتى يكون حكمك على الأمور هكذا.
- أشعر بالتخبط، ولا أدري أي طريق أسلك
- كوني على الفطرة

ولم أفهم مقصدها وعندها قالت: الفطرة هي البوصلة
التي ستفرض نفسها عند التيه، هي ما الذي ينبغي
علينا فعله عندما لا ندري، هي توجيه رباني لعقولنا
ونفوسنا؛ يلهمنا الصواب ويجعل الثوابت دوما هي

الرابح الأكبر، وكلامي يعني أنه ربما تعودين للحجاب
ويظل الخواء وتستمرين بالصلاة ويظل الخواء ولكن إن
كانت البوصلة هي فهم ماهية عبادتنا ولماذا نفعها
عندها فقط سيرتوي ذلك الخواء لأنك ستذوقين
حلاوة الفعل، فتعرفين قيمة الخالق وقيمة الخلق
وقيمة عبادة الخلق للخالق وعندها ستمتلئ نفسك.

فهل رحلت ابتسام حقا؟

رحلت قبل أن أخبرها بأنها كانت السبب في عودتي

للطريق الحق بكلماتها!!

يوم تخلى الجميع عني بينما هي تشبثت بيدي وثبتتني

أم أنها ستبقى حية؟

حية بكل كلمة علمتني إياها وبقت لها أثر وذكرى.

شكري

ما هو إلا يوم اعتيادي كبقية أيامي، استيقظت على صوت زوجتي الغاضبة من ابني الصغير كونه قد غافلنا بالمساء وأكل الجبن المتبقي من الثلاجة . كيف سأعد شطائر إخوتك للمدرسة يا معدوم المسؤولية، كيف تأكل كل الجبن؟ . لقد كنت جائعاً!

ولم تملك إلا أن تضرب كفا بكف وتتمتم بكل ما تحفظ من كلمات غضب وضيق وهي تعد الشطائر بما تبقى، ولم أملك أنا وقد مررت بأبنائي قبل ذهابي إلى الحمام إلا أن أربت على كتف صغيري وأنا يتملكني المزيد من السخط على كل شيء من حولي وعلى رأس القائمة،

نعم أمي بعد

ضيق ذات يدي وراتبي الذي بالكاد يكفيني ويكفي

أولادي الثلاثة وزوجتي

وها أنا أبدل ثيابي من أجل الذهاب لعملي ولكن اليوم

لن يمر بسلام كون أطفالي قرروا أن يجتمعوا ويعترضوا

على مصروفهم المدرسي الذي ما عاد يجلب لهم أي

حلوى كون كل الحلوى قد زاد سعرها

- رجاء يا والدي العزيز جنيهان لن يكفينا بعد اليوم،

على الأقل أربعة جنيهات

قالتها ابنتي الكبيرة وأكدت الوسطى ووافقهما الصغير،

مددت يدي بجيبي أجمع الباقي ولكن أسعفتني زوجتي

حين قررت أن تزعق بهم هاتفة: هناك من لا يجد قوت

يومه احمدا الله على نعمته

وأمام نظرة أقرب إلى الانكسار قمت بتزويد كل واحد

منهم بجنييه واحد معللا بذلك جبر خاطرهم

رانيا الطنوبي

وما إن خرجوا حتى وضعت لي ما تبقى من أطفال كي
أفطروكنت أعلم أنني لو أكلته لن يتبقى لها شيء فأكلت
نصفه ورغم إصرارها على إكمال فطوري لم أفعل
تظاهرت بالشبع ورحلت كعادة كل صباح لعملي
اتجهت لمكان الميكرو بصات وركبت وانتظرت ما
توقعته؛ هتاف حاد مفاده من السائق زيادة الأجرة، ولم
يعقب أحد، وكأننا جميعا بات يجمعنا الخرس
أخرجنا النقود من جيوبنا ولم نتمتم ببنت شفة
وطوال الطريق كنت أتابع الشوارع من حولي وأنا أفند
بعقلي النقود المطلوبة مني مع بداية العام الدراسي،
وبخلاف مصروفات المدرسة، ثمة بند كامل للدروس
الخصوصية لأن المدرسين ما عادوا يشرحون بالمدارس
ذلك بخلاف غلاء الأسعار الجنوني الذي أصاب كل
شيء، كل شيء يزيد إلا راتي لا يتحرك أبدا

عم أما بعد

زفرت بشدة واتجهت صوب مكثي وجلست إليه وأنا
لازلت على شروذي حتى استوقفني عم أمين الساعي
وهو يحييني ويضع أمامي كوب الشاي الصباحي الذي
اعتدت احتساءه ومعه بدأت حوارات زملائي الجانبية
- ثمة علاوة سيتم صرفها بسبب بدء الدراسة

- أفلحوا إن صدقوا

- كم المبلغ؟

وجهت سؤالي للأستاذة عنايات فالتفتت لي لتقول

بفرحة: خمسون جنياً

ضحك أكمل هازئاً من المبلغ ثم عقببت ابتسام: إنهم

صدقاً لا يعيشون معنا في نفس الكوكب

وعندها أجابت مايسة محتدة: إننا نعاني من زيادة

سكانية كبيرة، بالكاد يوفرون لنا هذا المال ثم أتبع

جملتها بالدعاء وجملة جانبية مفادها (أكثر الله خيرهم)

رانيا الطنوبي

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

- إنهم لا يتفضلون علينا

قالتها ابتسام فعقبت أنا: شيء أفضل من لا شيء، فهم

على يقين أننا لن نعترض أبدا

وساد الصمت بعدها وانشغل كل واحد منا بعمله،

شخص جاء من أجل إنهاء عدة أوراق، وآخر من أجل

رخصة بناء وثالث من أجل إمضاء والمشارك بينهم

جميعا درج اعتدنا جميعا تركه مفتوحاً لنجمع بنهاية

اليوم حصيلة ما حصدناه

- ضع نقودك بجيبك أعتقد أنني قد قلت ذلك بصوت

منخفض إلا أنك الآن تضطرنى لرفع صوتي

كان الزعيق من ابتسام، والتفت الجميع ناحيتها، منذ

أن أتت وهي تثير المشاكل دوماً وها هي مع أحد العملاء

المهمين تشعرنا أنها ليست مثل البقية

وتدخل أكمل وهو يقول: هات أوراقك يا سيد عادل وأنا
سوف أنهيها لك وتحرك به ناحية مكتبه بينما بدأت هي
بجمع أشياءها كون موعد الخروج قد حان وعندها
تحركت ناحية مكتبها لأسأل ما المشكلة فسردت أنه
يريد إعطاءها رشوة لتمرير عدة أوراق لرخصة بناء
عقار وعندها قررت التصحيح: هذه إكراميات يا
أستاذة ابتسام فالكل يعرف كيف هي رواتبنا وأحوالنا
وقبل أن أكمل أجابت بحدة: تسمى رشوة يا أستاذ

شكري

زفرت بشدة والتفتُ وخرجت، كانت المرة الأولى التي
يحدد فيها أحدهم مسمى الإكرامية بتلك الحدة
والفضاظة

"تسمى رشوة يا أستاذ شكري"

ثم أما بعد

وطوال طريق عودتي كنت أفكر بما فعلت، الغيبة هل تريد إقناعنا أنها رفضت لأنها تراها رشوة فعلا، أم لأن المبلغ لم يرق لها"

ولم ألتفت لما قالت، جمعت المبلغ اليومي من الإكراميات واتجهت للسوق وفي قرارة نفسي أتساءل صدقا لو لم تكن هذه الإكراميات ماذا كان سيحل بحياتنا وأنا لا أملك إلا راتي ولم أفكر أكثر أمام سعار الأسعار الذي أصاب كل شيء، ابتعت بعض الخضروالفاكهة واشترت دجاجة وعدت لمنزلي

وتم استقبالي بفاتورة كهرباء صُدمت حين قرأت قيمتها "ثلاثة أضعاف استهلاكنا، لماذا؟"

"ادفع ثم قم بالشكوى"

"أشتكي لمن؟"

رانيا هطنوبي

قلتُها هازئاً ثم أتبعتهَا: هنا الشكوى لغير الله مذلة.
والزيادة التي كدت أفرح بها تبخرت وتلاشت وكأنها لم
تكن، بل ما زاد الطين بلة هو نداء زوجتي لي وشكوكها
أن الدجاجة بها شيء غير طبيعي، ربما مريضة
وهتفت فيها بضيق وأنا مصر على كونها سليمة وإصرار
أكبر على طبخها رغم شعوري أنها محقة
وخرجت من المطبخ متأففاً وأنا لا أدري، زادت الأسعار
ولم نتكلم، ولكن أن تعود أيضاً غير صالحة لاستهلاكنا
رغم غلائها!

وكان لي مريومي بسلام لولا قيء ابنتي المتواصل وارتفاع
حرارتها فلم أملك إلا الاتجاه بها لأقرب مشفى
وبالتأكيد موظف مثلي لن يقدر أبداً على مشفى خاص،
فاتجهت لمشفى تابع لتأميني الصحي

وعن ما رأيته حدث ولا حرج، فقد اضطررت لدفع
إكرامية للممرضة من أجل دخولي مبكرا ودون اكتراث
لابنتي كتب الطبيب عدة أدوية وكان عليّ صرفها من
صيدلية المشفى وفعلت
وحين عودتي لمنزلي كان تعقيب زوجتي التي قدرا نظرت
للأدوية قبل إعطاء ابنتي منها بصدمة: إنها منتهية
الصلاحية!

ولم أملك إلا الصدمة بدوري والذهاب لأقرب صيدلية
لشراء بديل ليفاجئني الصيدلي عندها بأن هذا الدواء
ربما لا يناسب سن ابنتي
وأمام نصيحته اشتريت البديل المناسب وعدت وكل ما
أرجوه أن تُشفى وحمدا لله أن الأمر قد مر بسلام.
مرت بعدها عدة أيام لازال فيها كل شيء على حاله،
درجي المفتوح والإكراميات وحالنا المقلوب رأسا على

عقب حتى أنني رأيت رنيم اليوم وقد خلعت حجابها لم
يسعني إلا الاستغفار وقد شعرت بالخوف أن تكبر ابنتي
وتكون مثلها غير أنني ذكرت نفسي أنني قد ربيت أبنائي
الثلاثة على الأخلاق وعلمتهم الصلاة بل ويحفظون
القرآن وببركة كل هذا بالتأكيد لن يخذلوني أبدا.
وكاد يومي ينتهي بسلام إلا أن ثمة حدث استوقفني،
فلقد أتى إلى مكثبي الرجل الذي زعقت به أستاذة
ابتسام منذ عدة أيام، جلس بالمقعد المقابل لي ثم قال:
سألت عن الأكبر سنا ومقاما هنا فقالوا لي الأستاذ
شكري، اسمي عادل
قالها ومد يده مصافحا ثم بدأ بشرح الأمر قائلا أنه
بحاجة لمساعدتي وبعد شرح مطول بدأت أفهم، لقد
حاول أكمل إقناع ابتسام بإتمام أوراق هذا الرجل
لكنها رفضت.

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

-لذا لقد أتيت إليك يا سيد شكري كي تساعدني
وتحاول أنت معها، فإن وافقت أعدك وأعدتها بمبلغ
مالي كبير نظير إتمام المهمة
وتركني وخرج
كانت حيرتي في أشدها، لو أن هذا الرجل قد أتاني من
أجل إنهاء ورقة وكنت أنا المختص بها ما كان ليحتاج كل
هذا فقط بعض أوراق نقدية بدرجي كانت لتفي
بالغرض
وعندها أدركت كم هي ذكية ابتسام كونها قد جعلت
الأمر تصل لهذا الحد، هكذا إذا تتظاهر أمامنا بالبراءة
ومن خلفنا تسعى خلف مبلغ مالي كبير
"اللعينة"
صدق القول "إن عشقت فاعشق القمروا إن سرقت
فاسرق الجمل"

رهنيا هطنوبي

نعم أنا بعد

"أستاذة ابتسام"

وكان النداء مني بينما خرج كل زملائنا من الغرفة ولم

يبقى إلا أنا وهي، التفتت وردت: نعم

- أريد أن أتحدث معك إذا تكلمت

جلست بالمقعد المقابل لمكتبي وسألت: خيراً؟؟

وبدأت كلامي عن مجيء السيد عادل لي وعن رغبته

بمنحها مبلغاً مالياً مقابل.....

ولم أكمل كلامي كونها هتفت بحدة: أستاذ شكري من

فضلك لقد رفضت هذا الأمر مسبقاً وكفى.

وكادت تحمل حقيبتها وترحل إلا أنني استوقفتها هاتفاً

بحدة: لماذا تتصرفين وكأنك لا تحتاجين لهذا المال،

كيف ترفضين النعمة، ألا يعد هذا "بطراً"

نظرت لي بحدة وقد ضيقت بين حاجبيها ثم ردت بأسى:

بطر، نعمة!!!!!!

رانيا الطنوبي

وبعد زفرة ضيق أردفت: أي نعمة بمال حرام يضاف إلى راتبك؟

- مال حرام! هل أنتِ مدركة لما تقولين، عن أي مال

حرام تتحدثين، إنها إكرامية نظير.....

- نظير ماذا؟ نظير عملي وأنا بالأساس أحصل على راتبي

- راتب، عن أي راتب تتحدثين يا ابتسام وأنتِ نفسك

قلتي من قبل أنهم لا يعطوننا حقنا أبدا

- إن كانوا هم لا يعطوننا حقوقنا فهذا لا يعني أن تكون

الرشاوي عندنا مبررة، ظلمهم لنا لن يجعل تلك

الأموال حلالاً فقط لأننا نستحقها.

وكلامها فرض عليّ الشعور بالإهانة فقررت أن أزعق كي

أدافع عن نفسي فهتفت: أنتِ لا تعيشين معنا، وكأنك لا

تنظرين حولك جيداً فترين الأمور على حقيقتها، الكل

يفعل ما نفعله يا ابتسام فلا تدعي البطولة، في كل

مصلحة حكومية، كل مدرسة، كل مشفى، كل سوق،
الجميع يا ابتسام اعتاد أن يعيش هكذا، فاستفيقي،
لأن تلك الشعارات البراقة لن تطعم أطفالك ولن
تمنحهم دروسهم الخصوصية ولن تدفع مصروفاتهم
المدرسية.

وشعرت بزهوة انتصار امتلكتني حين صمتت ولم
تستطع الرد وبعد تهيدة منها قالت: ربما.

وكادت ترحل فاستوقفتها سائلا: ماذا تقصدين؟
وكانت الصدمة من نصيبي عندها: ربما جميعنا بحاجة
للمال لأن رواتبنا بالكاد تكفي، لكن ما قيمة مال
منزوع البركة من التواجد بحياتنا جميعا، ما قيمة مال
حرام تسعى أنت لتحصل عليه فيأتي آخروياً أخذه منك
غصبا أو بالطريقة ذاتها، ما قيمة مال يضعه شخص
بدرجك المفتوح نهارا تصرفه أنت ليلا على دواء أو مرض

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

أو ابتلاء أو يأتي من يسرقه منك بذات تصرفك، وكلُّ
بطريقته، طبيب بلا ضمير، مدرس بلا ضمير، بائع بلا
ضمير، فالدائرة كانت ولا تزال متسعة وتشملنا جميعا
ولكن بإمكاننا العزوف والقول بحسم، الله الغني وكفى
ولم تقبل ابتسام المال
لم تقبله

رحلت بعدما رفضته لتقابل ربه بيد نظيفة
رحلت بعدما علمتني أننا من نتحمل مسؤولية ما آلت
إليه أيامنا

"من أعان ظالما سلطه الله عليه"

فما بالك بمن يعين الظلم نفسه ثم يشكو أنه المظلوم،
رحلت قبل أن أخبرها أن كلماتها قد فرضت عليّ إغلاق
درجي والرجاء من الله أن يعوضني بالرزق الطيب.

مايسة

وقع ما قالتها الأستاذة عنايات على أذني كان كصفعة
هزت كل كياني، توفيت ابتسام صباح اليوم
انهارت أمامي رنيم باكية، بينما ظل الأستاذ شكري
يضرب كفا بكف وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله،
كيف؟

- حادث ولا زالت بالمشفى

- هل أنتِ على يقين من وفاتها

سأل أكمل وقد بدا عليه الحزن لأول مرة فأكدت

عندها: نعم وستدفن غدا وهذا كل ما عرفته

وأنهت كلامها وخرجت وتركنا ننظر لبعضنا البعض ولا

نملك أي تعقيب

هل رحلت حقا؟

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

بدا لي أن رنيم كانت أكثرنا تأثرا بوفاتها ربما لأنهما قد
جمعتهما مواقف عدة بالفترة الأخيرة
الجميع تعامل معها إلا أنا لم تجمعني بها أية مواقف أو
حتى كلمات فقط تحية المجيء وتحية الانصراف
زفرت بشدة وأنا لا أدري ما الذي ينبغي عليّ فعله حيال
الخبر بينما استأذنت رنيم وانصرفت
فكرت أن أتناسى وأفكر بعلمي ولكني لم أستطع رغم
علي بقدرتي على تناسي كل شيء أمر به، إلا أنني عجزت
عن التغافل عن موتها
رفعت رأسي ونظرت إلى مكتبها الفارغ وتمتمت بخوف:
هكذا بتلك السهولة ودون استعداد، لقد كانت بالأمس
تجلس بيننا تحتسي قهوتها وبالتأكيد لم تتوقع أبدا أنه
آخر يوم لها في الدنيا

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

وعيناى غلبتني وفضولي دفعني لمراقبة أكمل وشكري،
بدا لي شكري اليوم خدوماً على غير العادة وقد شدد
على إعادة كل الإكراميات إلى أصحابها، بينما أكمل بدا
صامتاً ولم يتحدث حتى انتهى الدوام
اتجهت لمحطة المترو وارتكنت بجسدي في إحدى الزوايا
أطالع الوجوه بتعجب متسائلة، تُرى من منهم سيموت
اليوم ومن منهم غدا؟؟
"ليس لك دخل بأحد"
وأمام تلك الجملة الاعتيادية شردت فيما مضى من
حياتي كلها وسألت نفسي
"ألم يئن الأوان أن تضعي عنوانا لها"
فكرت كثيرا حتى أرهقني التفكير وما إن وصلت إلى بيتي
حتى وجدتني قد تناسيت تماما أمر ابتسام
"توفيت"

رانيا هـ الطنوبي

مُما بعد

"رحمة الله عليها ولكن سيمر الأمر وكفى"

وبكل ما أملك من سرعة بدلت ملابسي وهرعت
للمطبخ، أعد طعام الغداء لزوجي وأطفالي فهم على
وشك أن يعودوا بأي لحظة

أذن العصر

فتذكرت أنني لم أصلي الظهر وعندها تمتمت في نفسي:

سأعد صينية البطاطس ثم أتوضأ وأصلي

وما إن انتهيت منها ووضعتها حتى تذكرت الأرز فقررت

تحضيره بسرعة ثم الصلاة

دق جرس الباب؛ عاد أولادي إذا.

وضعت الأرز على الموقد واتجهت لغرفهم، بدؤوا في

السرد عن يومهم وأنا خلفهم أساعدهم في تبديل

الملابس وأرتب خلفهم الغرفة وما إن تركتهم وخرجت

حتى نظرت لشقتي التي في أمس الحاجة إلى الترتيب قبل

عودة زوجي

"صلي أولا ثم رتبها"

هكذا قال ضميري بينما قلت أنا سأرتبها سريعا ثم

أصلي وفعلت

وما إن انتهيت حتى شممت رائحة طعامي فاتجهت

للمطبخ، بدا لي أنه سينضج بعد قليل فربما لو صليت

وعدت سيحترق

وأمام هاجس كهذا فكرت بتحضير السلطة

وعاد لي شرودي

توفيت ابتسام اليوم تذكرتها وأنا أغسل الخضرفقلت

في نفسي سأغلق الموقد بعدما أنتهي من السلطة

وعندها بالتأكيد سأركز بالصلاة

عُمُّ أُمِّ بَعْدَ

وما إن انتهيت من إعداد طبق السلطة حتى دارمفتاح

زوجي بالباب

"مايسة، لقد عدت"

قالها حاتم لأفهم أنه يستوجب عليّ إعداد طاولة

الطعام واتجهت وأنا أذكر نفسي

"لم أصلي بعد!"

"لقد توفيت ابتسام اليوم"

واللعنة على ضمير يئن بداخلي ليذكرنني بأني كعاداتي

سوِّفت

"الغداء يا مايسة"

"أنا جائع يا أمي"

وضعت الطعام وجلست بجوارهم، فكان الهمتاف من

ابني الأصغر: كل يوم بطاطس

- قل الحمد لله

رهنيا هطنوبي

نعم أم بعد

قلتُها أنا وتناولنا الطعام دون أن نتحدث بكلمة حتى

قطعتنا ابنتنا بسؤال لوالدها: أبي هل سنخرج

بالعطلة؟

- إن شاء الله

- نعم أم لا؟

- إن شاء الله

أعادها بملامح جامدة فتمتم صغيري في أذن أخته: إن

شاء الله تعني لا تنتظري شيئاً

وصمتا بينما هولم ينطق بعدها بكلمة وما إن انتهى من

طعامه حتى اتجه ليجلس أمام التلفاز وهو يهتف: كوب

الشاي يا مایسة

لملمت الطاولة بينما اتجه أولادي لغرفتهم واتجهت أنا

للمطبخ، وقفت أمام كومة من الأطباق المتسخة ثم

ثم أما بعد

أعددت لزوجي كوب الشاي وناولته إياه وعدت

للمطبخ، عليّ أن أغسل الأطباق ثم.....

لم أصلي بعد!!!!!!!

ونظرت للساعة وأدركت أنه لم يبق على آذان المغرب إلا

القليل فتوضأت ووقفت لأصلي

"الله أكبر"

(عليّ أن أغسل الأطباق ثم أصنع لنفسي كوبا من

القهوة ثم أذاكر لأولادي)

"سمع الله لمن حمده"

(هل أطفأت الموقد قبل الصلاة)

"الله أكبر"

(هل سيسمح لي حاتم بحضور جنازة ابنتسام، لماذا

صدقا لم أتأثر بموتها كالبقية)

لم أملك إلا أن أصلي بأقصى سرعة، آخذ أنا الكوب من
يد زوجي وأضعه بالمطبخ بينما يتجه هو للنوم، غسلت
الأطباق وصنعت كوباً من القهوة ثم اتجهت لغرفة
الأولاد لأذاكر معهم

أذن المغرب فتمتت: بعدما أنتهي من القهوة
وما إن انتهيت حتى تذكرت أنني لازلت بوضوئي فركضت
مسرعة لأصلي وأنا أهتف بأولادي: سأعود بسرعة

ووجهت وجهي حيث القبلة وما إن كبرت حتى اغرورقت
عيناي بدمعة، استشعرتها ثقيلة لأن على قلبي ران منذ
سنوات عدة

نظرت لموضع سجودي ولم أستطع الصلاة، وقفت
بمكاني واستشعرت أن الكون يدور من حولي
أغمضت عيني وتراءى لي قلبي

نعم أم بعد

كيف حاله، أتراه احتال للأسود؟؟؟؟؟؟؟؟

لم كل هذا الضيق يا مایسة؟

ماتت ابتسام ولكن ليست معضلة إن الأمر لم

يستوقفك، لم تجمعك بها أي معرفة، اهدئي وارفقي

بحالك

بل ابكي.....

وانهمرت دموعي عندها بلوعة

أنا.....

ماذا؟؟؟

لا أذكر آخر مرة استشعرت فيها قيمة تلك الوقفة

هل أنا أبكي حقا؟

دموع تلو الدموع ولكنني لست متضايقة بل أنا في أمس

الحاجة لتلك الدموع وبشدة

رانيا الطنوبي

نعم أما بعد

وعندما اشتدت دموعي أدركت الأزمة
لا أسوأ من أن نجعل الله أهون الناظرين إلينا
والآن هل من صلاة مختلفة
صلاة مودع ربما قد تكون تلك الركعات هي الأخيرة

بعمري

"الله أكبر"

أكبر من ألا يغفر غفلة عباده عنه
وقرأت الفاتحة كأن لم أقرأها من قبل
(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

على نعم شتى، لم لا نتوقف للحظة ونحصيها في أنفسنا
قبل النظر لما ينقصنا
(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ)

تلك التي لولاها ما كنا لنملك بالحياة فرصة رغم
أخطائنا

رَبِّهِ نَبِيٌّ مِّنْهُ

نعم أما بعد

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)

ذلك اليوم الذي رغم علمنا باليقين بقدومه إلا أننا لم
يعد يعيننا أن نعمل من أجله.

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

وذلك تمام القول ولكننا دوما تملكنا الغفلة فننسى،
من لنا سواك نتذل ببابه وحين تشتد علينا دنيانا
تكون أنت العون والسند.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

وهي دعوة خالصة ندعوها بكل صلاة بأفواهنا ولكن إن
تذوقت قلوبنا حلاوتها لاختلف بها واقع حياتنا

لكني يا ربي أعلم، أعلم أن التغافل لن يتركني، ربما
تأثرت اليوم بوفاة ابتسام لكنني غدا سأنسى

رَبِّهِ نِيَا هَطْنُوْبِي

عُمُّ أُمِّ بَعْدَ

وستمر الأيام وقد تتأخر صلاتي أو أجمعها أو أتعامل

معها وكأنها حمل ثقيل أريد أن أنهيها لأعود لحياتي

بسرعة

لأنني نسيت أو تناسيت أو ربما لم أعرف

"أرحنا بها يا بلال"

لأنها هي الصلة والشحن والدعم وطاقة النور لأرواحنا

رحمك الله يا ابتسام، فلولا وفاتك فجأة، ما كانت تلك

الوقفه حتى وإن كانت

"عابرة"

أكمل

أنا حقا لا أدري ما الذي أصابني عندما علمت بأمر
وفاتها، لم أذكر أنني قد سمعت شيئا صدمني على مدار
عمري كمعرفتي بأن ابتسام قد توفت
هكذا بكل بساطة "ماتت"

حاولت التظاهر بأنني لم أتأثر لكن بدا للجميع وعلى
رأسهم مايسة أنني لست على ما يرام
غادرت رنيم حزينه ولم يعقب أحد منا
عندها شعرت بالاختناق فقررت الخروج حيث أقرب
نافذة بالردهة

أشعلت سيجارة وأخذت في تناولها وقد زاد ضيقي رغم
نفثي المستمر للدخان علّ صدري يشعر بالراحة
وبالنهاية انتهت السيجارة ولم ينته ضيقي بل زاد.
هل تشعر بالحزن عليها؟

نعم أما بعد

لا أدري، ربما.....

"أفتقدها؟"

أشعر أن هناك شخصا كان ولا يزال يستوقفني كلما

رأيتَه رحل فجأة

"هي مجرد امرأة يا أكمل، امرأة كأني امرأة عرفتُها، ربما

الفارق أنها لم تهتم أو يلفت نظرها اهتمامك وإعجابك

بها لكن ما المشكلة يا رجل، فأنت ستجد بسرعة من

تفرح وترضى بالقرب منك وستنسى كعادتك

ستنسى ابتسام تماما كما نسيت.....

"رحاب"

أغمضت عيني وشردت هل لازلت تذكرها رغم الفراق

والإجابة بقلبي كانت نعم، لازلت أتذكر نعمة كبيرة أنعم

الله عليّ بها ولكني كنت دوما غير راضٍ

"أنا أستحق الأفضل"

رانيا الطنوبي

عَمُّ أُمَّا بَعْدَ

دوما كنت أقولها لنفسي وأنا أقارن زوجتي بكل امرأة
تراها عيني، ولا أدري ما الذي تغيرت كنت أحبها حبا جماً،
كنت أتوق للحظة التي ستكون فيها زوجتي وما إن
تزوجنا حتى انتهى الشغف
يقولون أن الزواج مقبرة الحب!!
فهل هذا هو السبب؟؟
لم تتغير تصرفاتها أبداً معي، كانت تحب وتعطي وتمدح
وتنتظر رغم شعورها بأنني مهما فعلت لن أقابل
تصرفاتها برضا
بل كلما منحت لم تكن تقابل إلا الجحود والنقد والكبر
فقط لظني أنني أسحق الأفضل
أتذكر جيداً عيد ميلادي الأول بعد زواجنا حين أعدت
لي بيدها كعكة بينما أنا كنت أقضي ليلتي برفقة أخرى

عُم أُمَا بَعْد

وكل ما كنت أتوق إليه هو أن أرافقها إلى منزلها لتتوج

ليليتي بليلة خاصة

لكنني اشتعلت غضبا حين تمنعت ولم أملك إلا تفرغ

غضبي بتلك المسكينة التي كانت تجاورني

دفعت طبق الحلوى من يدها وزعقت فيها كي تفهم

وتتركني وفعلت

وبعد عدة أيام عدت من عملي لأجد رسالة من كلمة

واحدة فقط

"طلقني"

وهزأت بالرسالة لأن يقيني بصاحبها كان كبيرا جدا

"رحاب لا تستطيع أن تعيش بدونك، رحاب تعشقك يا

رجل ولن ترحل أبدا"

ولم أعبأ باتصالات والدها ولا محاولات أهلي وكانت

ردودي بكل تكبر

رهنيا هطنوبي

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

كما رحلت تعود

ليأتيني بعدها بعدة أيام إنذار من المحكمة بدعوى
"خلع"

وبعد عدة أيام أدركت ما آلت إليه حياتي عندما قمت
بتطبيقها

ورغم كل ما حدث ظل كبريائي يتلاعب بي ويؤكد لي أنها
ستعود ويوما بعد يوم كنت أتظاهر بالتناسي واللامبالاة
حتى علمت بأمر خطبتها

ولم تكن أكبر صدماتي أنها لم تعد لي بل كونها قد
خطبت لواحد من أصدقائي كان يراها كنزاً
كان يقول لي من يمنحه الله زوجة صالحة ولا يستشعر
قيمة ما يملك جاحد، ولا يلوم إلا نفسه حين يجد أن
النعمة قد زالت من بين يديه

عُمُّ أُمِّ بَعْدَ

ولم أبك بحياتي كما بكيت في ذلك اليوم، أغلقت
بوجهي كل الطرق وحين فكرت أن أهاتفها قالت بثقة
"فات الأوان"

واستكملت حياتها تدرس وتعمل وتحب وأنا.....
أنا فقط أتابع وقد قررت التظاهر بأن مجاورة النساء
دونها سلوى وسعادة

كنت أتعمد الحديث أمام الجميع أنني أعيش أفضل
أيام حياتي بدونها

"الزواج لعنة نجوت منها"

"الحرية وأن تكون برفقة امرأة بعد امرأة"

أتوسط أصدقائي وأحكي لهم عن السعادة المكذوبة
التي أذوب فيها وقد قابلت (هنا وسما ونور وليلى.....
بل أكثر

عُمُّ أُمِّ بَعْدَ

فيحسدونني ويمدحون حياتي وهم يتحدثون عن
حياتهم الزوجية التي لا تحمل إلا الهم والنكد
ولو أدركوا أنني أنا الحاسد لهم لتوقفوا
فلو جربوا بيتا فارغا دون زوجة تنتظر، دون حياة
وأطفال وشيء يشعرك أنك تعيش لأجله
لعلموا أنني أنا الضائع، أنا التعيس، أنا من خسر
"أكمل"

والنداء كان من شكري لأعود أدراجي وأكمل عملي
وحاولت وقد تظاهرت أن كل شيء على ما يرام حتى
انتهى يومي

شعرت أنني سأختنق وما إن وصلت لبيتي حتى قررت أن
أغض الطرف عن أحداث يومي وأخرج للتنزه
ولكي لا أكون وحدي اتصلت بأصدقائي فكانت إجابتهم
كلهم بالاعتذار لظروف خاصة

رانيا الطنوبي

عُمرُ أُمِّ بَعْدَ

أَلْقَيْتِ هَاتِفِي بِإِهْمَالٍ وَجَلَسْتِ لِدَقَائِقٍ شَارِدَا فِي الْفِرَاقِ

وَأَنَا لَا أَمْلِكُ وَجْهَةً مُحَدَّدَةً

شَيْءٌ مَا بَدَاخِلِي دَفَعَنِي أَنْ أَقْرَرَ فَتْحَ حِسَابِ زَوْجَتِي

بِمَوْقِعِ فَيْسِ بُوْكَ وَمَتَابَعْتَهُ لِتَفْقِدِ أَحْوَالَهَا

فَكَانَتْ الصَّبَاعَةُ

الْيَوْمِ هُوَ يَوْمُ زَفَافِهَا

وَالدَّعْوَةُ لِلْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِهَا وَأَصْدِقَائِهَا

هِنَا أَدْرَكْتُ سُرْعَةَ تَدَارُكَاتِ أَصْدِقَائِي كَوْنِهِمْ سَيَذْهَبُونَ

لِحُضُورِ حَفْلِ الزَّفَافِ

وَفَرْتُ دَمْعَةً مِنْ عَيْنِي تَدَارُكْتُهَا وَمَحْوَتُهَا فَوْرًا وَأَنَا أَقُولُ

لِنَفْسِي

"لَا عَلَيْكَ"

عَمُّ أُمِّ بَعْدَ

وقبل التظاهر بغض الطرف أعدت لنفسي بعض
الشطائر وكوب شاي وجلست أمام التلفاز ليقاطعني
اتصال من شكري ليسأل

. هل ستذهب لصلاة الجنازة على ابتسام غدا
سؤال أشعرنني وكأنني أسقط في قاع بئر عميقة بلا نهاية
"أصلي"

قلتها وكأنني أتذكر الكلمة نفسها وقد شعرت بصوت
شكري يكسوه الاستغراب ولكنه أردف: غدا بعد صلاة
الجمعة صلاة الجنازة
فهل ستأتي؟

الخاتمة

"أحقا تريدون سماعي"

سؤال سألته الإمام وظل يمني نفسه بإجابة حاسمة من

أحدهم ولكنهم صمتوا فاستشعر اليأس وصمت

وساد صمتهم وبصائرهم قد تعلقت به حتى قرر الهتاف

"ثم أما بعد"

هلا توقفتم عن الركض واستبصرتم ما ينبغي عليكم

استبصاره

"لا"

قالها أحد الحاضرين فزلزلت البقية وجاء رد الإمام

بغثة

"إذا لا فائدة.....أقم الصلاة"

وما إن التفت حتى صاح أحدهم: مهلا يا شيخ راجي حتى

ثم أما بعد

وإن دب بك اليأس بحالنا عظنا عليها كلمة يهدي الله بها

واحدا منا لا ندري من هو

دب الأمل في نفس الشيخ، فهذا ما كان يريد سماعه ولو

من شخص

ابتسم وصعد على المنبر وقد نوّه أن هناك صلاة جنازة

بعد الصلاة وقد امتلأ المسجد عن آخره

وتجاور شكري بجوار أكمل وبمصلى النساء كانت رنيم

ومايسة وعنايات

وبدأت الخطبة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه

(من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا

مرشدا)

"ثم أما بعد"

رهنيا وطنوبي

نعم أما بعد

هلا توقفتن عن الركن واستبصرتن ما ينبغي عليكم

استبصاره

"كيف"

انظروا في أنفسكم وستكون الإجابة جالية.

نعم لا حصر لها، علينا أن نتوقف عن الركن دون

إحصائها

صحة، مأوى، أسرة، عافية

"مقدرة"

لا شيء يضاهي قسوتنا حين نستخدمها في الظلم أو

الذنب

"غشاة"

قد طالت كل شيء، وماعون نضب ما به من وعر لأننا ما

عاد يعنيننا أن الله على القلوب مطلع

"جفوة"

رهنيا وطنوبي

مفادها يوما ما سنتوب ونرجع ولكن من منكم قد

ضمن الوقت

"لامبالاة"

هي خلاصة كل فتور قد حل بكل شيء والخلاصة

"يأس"

في رحمة الله، في حسن الظن، في انعدام قدرتنا على

تغيير أنفسنا ومن ثم الوقوف بمكاننا دون مراجعة،

دون توبة

والخسران تحت غطاء

"مفيش فايده"

بينما كل آية من كتاب الله قد فرضت علينا التأمل

حين أخبرنا الله عن أمم سبقتنا

منهم من أفسد ومنهم من أصلح

ونهاية كل طريق كانت للعيان واضحة ولكن يبدو أن بنو

البشر أقل الكائنات عبرة

ولكني سأذكر نفسي وإياكم بأننا بحاجة لأن نتفقد

أحوال أنفسنا ما استطاعنا

دون يأس أو تهوين

فالأصل ليس بأن نتوقف عن الذنوب

بل أن نتوب كلما جاءتنا الفرصة

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ
وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ
دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ
قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أقم الصلاة

انتهت الخطبة ثم الصلاة، ثم كانت صلاة الجنازة

نعم أم بعد

وضع جثمان ابتسام وصلوا عليها لترحل إلى مثواها

الأخيرة وقد انتهت قصتها أمام أعينهم ههنا

فهل تأثروا؟!!

قد يكون هذا محتملا.

وهل استبصروا؟!!

ربما الإجابة نعم!

لكنه حالنا

وكلنا بحاجة لإدراك الفارق بين المثالي والسوي

أننا سنظل بشرا ولن نكون ملائكة

نجتهد ومكمن الاجتهاد

في أعمال عقولنا.

تمت بحمد الله

رانيا الطنوبي